﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡىِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: 48 - 50]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

حصرُ إرسالِ الرّياحِ وآثارِها على الله تعالى بعد ذِكْرِ الرّياح المُبَشِّرة

بعد أن أورد النّظمُ الجليلُ الاعتراضَ لتسلية النّبيِّ ﷺ بما وقع للمكذّبين منَ الأقوام، عاد النّظمُ إلى نعمة الرّياح واستئنافِ الحديث عنها، وما يترتّبُ عليها من منافعَ[1].

ومنَ المناسبة: أنّه تعالى لمّا ذكر الاستدلالَ بإرسال الرّياح في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾، استدلّ هنا على تفرّده تعالى بالتّصرف بالكون، ثمّ أعقب الاستدلالَ بإرسال الرّياح وما تُسَبِّبُه من مطرٍ يُنبِتُ الأرضَ ويُحييها بعد موتها؛ ليستدلّ به على البعث[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتُثِيرُ﴾: (ثور) أصلُه انْبِعاثُ الشَّيْءِ[3]، ثارَ الشّيءُ ثَوْرًا وثُؤورًا وثَوَرانًا وتَثَوَّرَ: هاجَ، وثارَتِ الحَصْبَةُ بفلان: انْتَشَرَتْ، وكُلُّ ما ثارَ فَقَدْ ظَهَرَ، ويُقالُ: ثَوَّرَ فلانٌ عليهمْ شَرًّا، إذا هَيَّجَهُ وأظهره، وكُلُّ ما اسْتَخْرَجْتَهُ أو هِجْتَه، فَقَدْ أَثَرْتَه إثارَةً[4]، وثارَ الغبارُ والسّحابُ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 96.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 120.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ثور).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (ثور).

ونحوهما: انتشر ساطعًا، قال تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[1]، وإثارةُ السّحاب: إنشاؤه بما تُحدثه الرّياح في الأجواء من رطوبةٍ تحصلُ من تفاعل الحرارة والبرودة[2]، والمُرادُ به في الآية الكريمة: تهييجُ السّحاب وتحريكُه[3].

2) ﴿كِسَفًا﴾: (كسف) أصلٌ يَدُلُّ على قَطْعِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، يُقالُ: كَسَفَ العُرْقوبُ بالسَّيْفِ كَسْفًا يُكْسِفُهُ[4]، والكِسْفَةُ: القِطْعَةُ من الشّيء، والجمع كِسْفٌ وكِسَفٌ، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾، ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشّعراء: 187][5]، والكَسْفُ، بالفتح: مصدرُ كَسَفْتُ البعيرَ، إذا قطعتُ عُرقوبَه، وكذلك كَسَفْتُ الثّوبَ، إذا قطعتُه[6]، والمرادُ به في الآية الكريمة: القِطَعُ المتفرّقةُ منَ السّحاب[7].

3) ﴿ٱلْوَدْقَ﴾: (ودق) أصلٌ يدُلُّ على إتْيانٍ وأنَسَةٍ، والوَدْقُ: المَطَرُ؛ لِأَنَّهُ يَدِقُ، أيْ: يَجيءُ مِنَ السَّماءِ[8]، أو هو ما يكونُ من خلال المطر كأنّه غُبارٌ[9]، ويُقالُ للحَرْب الشَّديدَةِ: ذاتُ ودْقَيْنِ، تُشَبَّهُ بِسَحابَةٍ ذاتِ مَطَرَتَيْنِ شَديدَتَيْنِ، ويَقولونَ: سَحابَةٌ وادِقَةٌ[10]، والمُرادُ به في الآية الكريمة: المطرُ.

4) ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: (بلس) أصْلُه اليَأسُ، يُقالُ: أبْلَسَ إذا يَئِسَ، قال تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المؤمنون: 77][11]، وأبْلَسَ من رحمة الله، أي: يَئِسَ[12]، والإبْلاسُ: الحزنُ المعترضُ من شدّة البأس، يقال: أبْلَسَ، ومنه اشتُقّ إبليسُ، قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الرّوم: 12][13]، والإبْلاسُ: القُنوط وقَطْعُ الرَّجاءِ مِنْ رَحْمَةِ اللّه تعالى، وهو

(1) الرّاغب، المفردات: (ثور).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 121.
(3) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 262.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كسف).
(5) الرّاغب، المفردات: (كسف).
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (كسف).
(7) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 262.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ودق).
(9) الرّاغب، المفردات: (ودق).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (ودق).
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بلس).
(12) الجوهريّ، الصّحاح: (بلس).
(13) الرّاغب، المفردات: (بلس).

الانْكِسارُ والحُزْنُ، يُقالُ: أبْلَسَ فُلانٌ إذا سَكَتَ غَمًّا[1]، والمُرادُ به في الآية الكريمة: اليأسُ مع الانكسار[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إحياءُ الأرضِ برحمةِ اللهِ تعالى الذي يُحيي الأمواتَ يومَ الحساب

إنّ اللّه تعالى وحده هو الذي يُرسل الرّياحَ، فتُنْشِئُ الرّياحُ سحابًا، فينشرُه تعالى، ويجمعُه في السّماء كيف يشاء، ويجعلُ ذلك السّحابَ قِطعًا متفرّقةً، فترى بعينك المطرَ يخرجُ من بين ذلك السّحاب، فإذا صرفَهُ تعالى إلى أرضِ مَن أراد مِن خَلْقه؛ فإنّك تراهم يستبشرون بذلك ويفرحون، وقد كان هؤلاء من قبلِ أن يُنَزّلَ عليهم هذا الغيثُ مكتئبين حَزِنين باحتباس المطرِ عنهم، قانطين من رحمة اللّه، فانظر يا محمّد ويا كلَّ سامعٍ وباصرٍ إلى آثار الغيث، كيف يُحيي الأرضَ الميتة، فينبتُها ويُعشِبُها، من بعد موتها ودُثورِها، وإنّ الذي يحيي هذه الأرضَ بعد موتها بهذا الغيث، لَمُحْيي الموتى من بعد موتهم، وهو على كلّ شيء قديرٌ، لا يَعِزُّ عليه شيءٌ أرادَه، ولا يمتنعُ عليه فعلُ شيءٍ شاءَه سبحانه[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصلِ الجملةِ في صدر الآية:

فُصِلَ الخطابُ لتفصيلِ ما أُجمِلَ بيانُه من نعمة الرّياحِ

فصل النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾؛ لأنّها مُستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا، جيء بها لتفصيل ما أُجمِلَ فيما سبق من بيان نعمة إرسالِ الرّياح[4]، فهي عَودٌ على الاستدلال بآية الرّياح على عظيم الامتنانِ منَ المولى تعالى على عباده.

سِرُّ التّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ مقدّمًا:

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ الجلالة مُقدِّمًا إيّاه على الفعل في قوله

(1) ابن منظور، لسان العرب: (بلس).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 122.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 114 - 116.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 64.

جلّ شأنُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ للدّلالة على حصر الفعل في ذات الله تعالى، فاللّهُ تعالى وحده هو المُتصرّفُ في الرّياح، وذِكْرُ لفظِ الجلالة في مفتتَح الكلام تنويهٌ بِعظَم هذه الآيات العجيبةِ، متضمّنًا إبطالَ دعوَى المشركين بإلَهيّة أصنامهم؛ فهي لا تستطيعُ مثلَ هذا الفعل العظيم[1]، وهي أيضًا عاجزةٌ عن كلّ فعلٍ مهما كان ضئيلًا، وإنّما تذكرُ مثلَ تلك الأفعال التي جعلها اللّهُ تعالى لمنافعِ عباده؛ تذكيرًا لهم بعظيم النّعم المُستوجِبة للشّكر.

إرسالُ الرّياحِ فعلٌ خاصٌّ بالله تعالى وهو من شأن الرّبوبيّة

بلاغةُ التّعبيرِ باسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِى﴾:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ لِما فيه من دلالةٍ على العهد والتّعيين، فالمشركون لا يَدفعون كونَ اللّه تعالى هو مرسلَ الرّياح ومُجريَ السّحاب.

اعترافُ الكفار بأن الله يرسل الريح لا يغني عن إيمانهم به

إيثارُ التّعبيرِ بفعلِ الإرسالِ مادّةً وصيغةً:

آثرَ النّظم الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الإرسال في شأن الرّياح في قوله جلّ شأنُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ لأنّ الإرسال يدلُّ على تحميل المُرْسَل أمرًا ما، يبلغُ به إلى غيره، فكأنّ الرّياح رسلٌ تحملُ رسالةَ التّبشير بالخير منَ اللّه تعالى، كما مرّ في قوله تعالى: ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾، وجاء التّعبيرُ بالفعل المضارع؛ لأنّه يرسلُها مرّة بعدَ أخرى، وفي المضارعة استحضارٌ لصّورة إرسال الرّياح ومشهدِه[2].

البشارةُ بالخيرِ رسالةٌ تحملُها الرّياحُ

معنَى الفاءِ في ﴿فَتُثِيرُ﴾:

عطفَ النّظمُ الجليلُ الإثارةَ على الإرسال بالفاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾؛ للدّلالة على أنّ الإثارة تعقبُ الإرسالَ على التّرتيب، وأنّها كائنةٌ بعدَه على المباشرة، كما أنّ الإرسال سببٌ في الإثارة، كما تدلُّ السّببيّةُ في الفاء.

إثارةُ السّحابِ وإنشاؤُه واقعٌ عقبَ إرسالِ الرّياحِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 120.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 118.

سرُّ التّعبيرِ بقوله: ﴿سَحَابًا﴾؛ مفردًا مُنكَّرًا:

الـرّيـاحُ تبعثُ جنسَ السّحاب كـلّـه صـغـيرِه وجليلِه

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ السّحاب بصيغة الإفراد في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾؛ وذلك لإرادة الجنس، فليس مرادًا سحابًا بعينه، فالتّعبيرُ بذلك تعبيرٌ عن مُطلَق السّحاب، وجاء التّنكير ليناسبَ التّعميمَ والشّمول، وفيه أيضًا تفخيمٌ لشأن السّحاب الذي أُنشئ برحمة الله تعالى وإحسانه على عباده.

معنَى الفاءِ في ﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾:

بسطُ السّحابِ يأتي وشيكًا بعد بَعْثِه

عطف النّظمُ الجليلُ بسطَ السّحاب على إثارته بالفاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ﴾؛ لأنّ الإثارة تسبقُ البسطَ، وهو يأتي بعدَها وشيكًا، وبسطُ السّحابِ ونشرُه لا يكون إلّا بسبب إثارتِه وجمعِه منَ الأبخرة المنبثّةِ في الهواء.

بلاغةُ التّعبيرِ بالبَسْط مادّةً وصيغةً:

بسطُ السّحابِ بـالمَـدّ والـنّـشـر متّـصـلًا بعضُه ببعضٍ

آثرَ النّظم الجليلُ التّعبيرَ بلفظ البسط في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾؛ للدّلالة على نشره ومدِّه بعد جمعه، كما أنّه يدلُّ على اتّصالِ بعضِه ببعضٍ[1]، وجاء التّعبيرُ عن ذلك بالفعل المضارع استحضارًا للصّورة والمشهد، ودلالةً على تجدّد ذلك الفعلِ.

فائدةُ الجارِّ والمجرور ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾:

تكَوُّنُ السّحابِ يكون في جهة العُلُوّ

عبّر النّظمُ الجليلُ بشبه الجملة ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ للدّلالة على أنّ تكَوُّنَ السّحابِ يكون في جهة العُلُوّ، أي: في جهة السّماء، وليس المُرادُ حقيقةَ السّماء المعهودة[2].

(1) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 262.
(2) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 262.

دلالةُ الاستفهامِ في ﴿كَيۡفَ يَشَآءُ﴾:

للسّحابِ أنواعٌ وكيفيّاتٌ عديدةٌ يقرّرُها اللهُ تعالى

عبّر النّظمُ الجليلُ باسم الاستفهام الدّالِّ على الكيفيّة والهيئةِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾، أي: يبسطُه في الجوّ بالكيفيّة التي يختارُها ويريدُها، وذلك بأن يجعله كثيفًا، أو متناثرًا، أو من جهة الشّمال، أو منَ الجنوب، أو يجعلَه خفيفًا، أو يباركَ فيه فيجعلَه ثقيلًا[1]، وقد أجاد الإمامُ البقاعيُّ في بيان فائدةِ التّعبير بالاستفهام هنا بقوله: "ولمّا كان أمرُ السّحاب في غاية الإعجاب في وجوده بعد أن لم يكن، وأشكالِه، وألوانِه، وجميعِ أحواله، في اجتماعه وافتراقه وكثافتِه، وما فيه من مطر ورعدٍ وبرقٍ، وغيرِ ذلك، ممّا لا يعلمُه حَقّ علمِه إلّا اللّه تعالى؛ أشار سبحانه إلى ذلك بأداة الاستفهام"[2].

علّةُ التّعبيرِ بفعل المشيئةِ:

أمرُ السّحابِ عائدٌ لمشيئتِه تعالى لا لغيره

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالمشيئة في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا﴾؛ للدّلالة على أنّه وحدَه المُتصرّفُ في السّحاب وكيفيّاتِه المختلفة بأن يجعلَه قليلًا أو كثيرًا، وبأوضاع عديدةٍ متباينةٍ، وكلُّ ذلك يفعلُه وحدَه باختياره، فنفَى بذلك أن يكون شأنُ السّحابِ من فِعل الطّبيعة المُجرّدةِ، أو من فعل غيرِها من آلهتهم وأصنامِهم[3].

معنَى الواوِ في ﴿وَيَجۡعَلُهُۥ﴾:

تفريقُ السّحاب وتكثيفُه آيةٌ دالّةٌ على قدرة الله تعالى

عطفَ النّظمُ الجليلُ جَعْلَ السّحابِ كِسَفًا على البسط في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا﴾، أي: أنّه تعالى يبسطُ السّحابَ تارةً بأن يجعله ممتدًّا متكاثفًا مغلقًا، ويجعلَه

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 97.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 119.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 119.

كِسَفًا تارةً أُخرى، بأن يكون غماماتٍ متفرّقةً متقطّعةً، فالجمعُ بينهما في الذّكر بيانٌ لاختلاف أحوال السّحاب، وهذا يُفضي إلى الدّلالة على سَعة القدرة[1].

دلالةُ التّعبيرِ بالجَعْل؛ مادّةً وصيغةً:

تصْييرُ السّحابِ على حالة دونَ غيرها

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ الجَعْل في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾؛ لدلالته على التّصْيير، فهو تصييرُ السّحابِ على حالةٍ دونَ حالة أخرى[2]، وجاء التّعبيرُ بالمضارع لتجدُّدِ ذلك وحدوثِه على الدّوام، وفي المضارعة أيضًا استحضارٌ للصّورة والمشهد، فكأنّ السّامعَ يشاهدُ تفرّقَ السّحاب في السّماء، وهذا أوقعُ في الذّهن وأبلغُ في الوعظ.

سرُّ التّعبيرِ بـ ﴿كِسَفًا﴾:

مِـن أشـكـالِ الـسّـحـابِ المتقطّعُ المتراكبُ

عبّر النّظمُ الجليلُ بالكِسَف عنِ السّحاب في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾؛ وذلك لأنّ الكِسْفَة هي القِطْعَةُ منَ السّحاب والقُطن، ونحوِ ذلك منَ الأجسام المتخلخلةِ الحائلة[3]، فهي لفظةٌ لها خصوصيّةٌ على قطعٍ وإبانةٍ لجُزء من شيء عريض[4]، فعبّر بذلك لاختصاص اللّفظة بالمعنى الشّامل للسّحاب وغيره، وللدّلالة على أنّه تعالى يجعلُ السّحابَ قِطَعًا بعضَها فوقَ بعضٍ[5]، أي: غيرَ مُتّصلٍ ولا مُمتدٍّ ولا مبسوطٍ، بل متفرّقٌ متقطّعٌ.

معنَى الفاءِ في ﴿فَتَرَى﴾:

رؤيـةُ نـزولِ الماء مـنَ الـسّـمـاء بسبب إرسـالِ الـرّيـاح وتَـكـوُّنِ السّحاب

عطفَ النّظمُ الجليلُ رؤيةَ المطر بالفاء على ما قبْله من إرسال

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 121 - 122.
(2) الرّاغب، المفردات: (جعل).
(3) الرّاغب، المفردات: (كسف).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (كسف).
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 97.

الرّياح وما ترتّبَ عليها من إثارة السّحاب وتجمّعِه في جوّ السّماء في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ﴾؛ وذلك للدّلالة على أنّ نزول المطر منَ السّحاب ورؤيتَه، حصل بسبب إرسالِ الرّياح، وبسبب جعْلِه متفرّقًا، فالمطرُ نازلٌ من كليهما[1].

دلالةُ التّعبيرِ بالرّؤيةِ؛ مادّةً وصيغةً:

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ الرّؤية في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ﴾؛ للدّلالة على أنّ هذه الآية تُرى بالعين المُجرّدة، فهي شاخصةٌ أمامَ أعينهم، وآثرَ التّعبيرَ بالفعل المضارع للدّلالة على أنّ رؤية المطر مُتجدّدةٌ دائمةٌ، ولتصوير المشهد واستحضارِ حالةِ نزول المطر في الذّهن، والفائدةُ من ذلك: إيقاعُ الوعظ على أبلغ وجهٍ، كما أنّ الخطاب في هذا الفعل هو "خطابٌ لغير مُعيَّن، وهو كلُّ من يتأتّى منه سماعُ هذا، وتتأتّى منه رؤيةُ الوَدْق"[2].

آيةُ المطرِ شاخصةٌ واضحةٌ تراها كلُّ عينٍ باصرةٍ

إيثارُ التّعبيرِ بالخروج مادّةً وصيغةً:

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الخروج في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ﴾؛ لأنّ الخروج يدلُّ على النَّفاذِ عَنِ الشَّيْءِ[3]، أي: برز من مَقرّه، سواءٌ كان مقرُّه دارًا، أو بلدًا، أو ثوبًا، وسواءٌ كان حالُه حالةً في نفسه، أو في أسبابه الخارجة[4]، فالمطرُ يخرج من أسبابه وهو السّحابُ، فيبرز الماء وينفذُ من خلال تلك الغيوم، وجاء التّعبيرُ عن ذلك بصيغة الفعل المضارع للدّلالة على التّجدُّد والاستمرار، وتصويرِ حالة بروزِ الماء من خلال السّحاب.

بروزُ الماءِ منَ السّحابِ الذي هو كهيئة الدّخان آيةٌ عجيبةٌ

معنَى ﴿مِنۡ﴾ في ﴿مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿مِنۡ﴾ في قوله جلّ شأنُه:

ابتداءُ خروجِ المطرِ النّازلِ منَ السّحاب

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 120.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 122.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خرج).
(4) الرّاغب، المفردات: (خرج).

﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۚ﴾ وهي هنا ابتدائيّةٌ، أي: ابتدأ خروجُ المطرِ النّازل من ذلك السّحابِ، فالسّحاب هو مصدرُ المطر.

سرُّ التّعبيرِ بـ ﴿خِلَٰلِهِۦۚ﴾:

خـروجُ الماء منِ اجتماع السّحبِ وتلاحمِها

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ (الخِلال) في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۚ﴾؛ لدلالته على الفُرجة بين الشّيئَيْن[1]، والمُرادُ: بيانُ أنّ المطر ينفذُ من بين ذلك السّحاب ووسطِه[2]، ولعلّ في ذلك إشارةً إلى أنّ المطر لا يخرجُ إلّا في حالة اجتماع غيومٍ، فيزداد التّكاثفُ بينها فيخرجُ المطرُ من وسطها.

فائدةُ الإضافةِ في ﴿خِلَٰلِهِۦۚ﴾:

ينـزلُ المـاءُ منَ السّـحـاب المـبـسـوطِ والمتقطّعِ

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الخِلال إلى ضمير السّحاب في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۚ﴾؛ للدّلالة على أنّ المطر يخرجُ منَ السّحاب في كلتا حالتيه؛ حالةِ بسْطِه في السّماء، وحالةِ جَعْلِه كِسَفًا، فإنّ المطر ينزل من خلال السّحاب المغلقِ والغمامات، ومِن قِطَع السّحاب التي بعضُها فوقَ بعض[3].

معنَى الفاءِ في ﴿فَإِذَآ أَصَابَ﴾:

مسـرّةُ النّـاس متحقّقةٌ برؤية المطر نازلًا

الفاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ دالّةٌ على التفريع، فبعد أن أخبر اللّه تعالى أنّه يرسل الرّياح مُثيرةً السَّحاب بما يحمله من مطر؛ فرَّع على ذلك الإخبار عن حال الناس من الاستبشار عند نزول المطر بعد أن كانوا في يأس وإبلاس.

دلالةُ التّعبيرِ بـ (إذا):

استبشارُ النّاسِ محـقّـقٌ بنـزول المطر

عبّر النّظمُ الجليلُ بظرف الزّمان (إذا)، الدّالِّ على المستقبل،

(1) الرّاغب، المُفردات: (خلّ).
(2) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 262.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 122.

والمتضمّنِ معنى الشّرط[1] في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ للدّلالة على تعلّق استبشارِهم بنزول المطر وإصابتِه لبلادهم، وهذا التّعليق تمهيدٌ لبيان حالهم الذي ستفصّلُه الآيةُ اللّاحقة، فالشّرطُ هنا يُشير إلى أنّ حالَهم كان ضِدَّ حالةِ السّرور والاستبشار؛ لانقطاع المطر عنهم زمانًا بحيثُ أبْلَسوا من رَوح الله تعالى، فدلّ ذلك على عظيم النّعمة التي لحقتْهم ورفعتْ ما بهم من حرج وضيقٍ.

إيثارُ التّعبيرِ بالفعلِ ﴿أَصَابَ﴾ مادّةً وصيغةً:

نزولُ المطرِ حالَ الحاجة إليه من عظيم النِّعم

آثرَ النّظمُ الجليلُ التّعبيرَ بلفظ الإصابة في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ لدلالة الإصابة على تحقيق المراد، كإصابة السّهم، وهو وقوعُه في الغرض[2]، والمُرادُ أنّ المطر ينزل بأرضِ مَن شاء الله تعالى مِن عباده[3]، وجاء التّعبيرُ عن ذلك بالفعل المضارع لتجدُّد وقوعِه ودوامِه، وتَكرارِ وقوعِه في بلاد شتّى.

معنَى الباءِ في ﴿بِهِۦ﴾:

إصابةُ العبادِ بالخير كائنةٌ بسبب المطر

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (الباء) في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، وهو هنا مُستعمَلٌ للدّلالة على الواسطة، أي: أصابهم الخيرُ بواسطة هذا المطر، والإلصاقُ كذلك ظاهرٌ في الدّلالة، حيثُ بلغهمُ المطرُ حتّى التصق بهم أثرُه.

نُكْتَةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿بِهِۦ﴾:

قدّم النّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة منَ الجارِّ والمجرور على المفعول

(1) مجموعة من المؤلّفين، إعراب القرآن الكريم: 3/ 1790.
(2) السّمين، عمدة الحفّاظ: (صوب).
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 97.

نـعـمـةُ المـطـرِ مقصودُ السّياق وتـقـديـمُ ذِكْـره تنويهٌ بشأنه

به في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ للاهتمام بشأن المطرِ الذي هو المقصودُ بالسّياق، فقدّمه تنبيهًا على كونه سببَ إبلاسهم، كما أنّه سببُ استبشارهم، وذلك يُظهر ضعفَهم؛ إذ إنّهم لا يمكنُ لهم العيشُ بلا هذه النّعمةِ الجليلةِ.

سرُّ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ ﴿مَن﴾:

المطرُ رحمةٌ لكلِّ عبادِ الله تعالى

آثرَ النّظمُ الجليلُ التّعبيرَ بالاسم الموصول ﴿مَن﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾؛ لِما فيه من دلالةٍ على العموم، فالمطرُ الذي يرسلُه الله تعالى رحمةً لعباده وغوثًا لهم لا يختصُّ بفئة دون أخرى.

معنَى ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿مِنْ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهي هنا بيانيّةٌ، أي: أنّ الذي يشاء أن يصيبَه بالمطر هو من جنس عبادِه.

علّةُ التّعبيرِ بالعباد مادّةً وجمعًا:

كلُّ النّاسِ عبادٌ لـلـه مؤمنُهم وكافرُهم

آثرَ النّظمُ الجليلُ التّعبيرَ بلفظ (العباد) في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ للدّلالة على أنّ عبادتَهم له تعالى واجبةٌ عليهم، وأنّهم لا يخرجون من سلطان حكمِه، وأنّهم مُلْزَمون بشُكره، والخضوعِ لأمره[1]، وجاء اللّفظ بصيغة الجمع للدّلالة على شمولهم جميعًا بالعبادة.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾:

كلُّ النّاسِ عبادٌ لـلـه عـلى جهة الإقرارِ أوِ القهرِ

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ العباد إلى ضمير الجلالة في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾؛ للدّلالة على أنّ العباد منتسبون إليه تعالى، سواءٌ على جهة الإقرار ممّن آمن، أو على جهة القهر ممّن كفر وأعرض.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 120.

سرُّ التّعبيرِ بـ ﴿إِذَا﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بـ ﴿إِذَا﴾ الفجائيّةِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ للدّلالة على أنّهم قد "فاجؤوا الاستبشارَ بمجيء الخِصْبِ"[1]، فأسرعوا إلى إظهار الاستبشار، وهذا يشيرُ إلى كربهم وضيقِهم الذي كانوا عليه، ويدلُّ على عظمة الإنعامِ بالمطر الذي يُسعفُهم منَ العطش والجفاف.

استبشارُ النّاسِ المفاجئُ دليلٌ على شدّة العَوَزِ للماء

دلالةُ التّعبيرِ بالجملةِ الاسميّةِ:

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالجملة الاسميّة في قوله جلّ شأنُه: ﴿هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ للدّلالة على تأكيد مضمونِ الجملة، فاستبشارُهم وصفٌ ثابتٌ ومؤكّدٌ، وملازمٌ لهم بقرينة نزولِ الغيث.

استبشارُهم وصفٌ ثابتٌ ومؤكّدٌ وملازمٌ لهم

إيثارُ التّعبيرِ بـ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالاستبشار في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ للدّلالة على ظهور السّرورِ على ظاهر البَشرة، ودلّت صيغةُ (الاستفعال) على قوّة المعنى وتأكيدِه، أي: يظهرُ عليهم البِشرُ والسّرورُ الذي تشرقُ له البشرةُ ظهورًا بالغًا عظيمًا؛ وذلك لحدوث ما يرجونه منَ الأثر النّافع منَ الخِصْب والرّطوبة واللّين[2]، وفي صيغة (الاستفعال) أيضًا الدّالِّ على الطّلب هاهنا معنى تطلّبِهم الشّديدِ للاستبشار، بأمارة نزولِ الغيث بوصفه مُسبّبًا عنه، ومُصاحبًا له، وجاء التّعبيرُ بصيغة الفعل المضارع للدّلالة على دوام استبشارِهم حالَ نزولِ المطر، وتجدُّدِ ذلك السّرور.

فَرِحوا بالمطر حتّى ظهرَ الفرحُ والسّرورُ على ظاهر بَشرتهم

معنَى الواوِ في قوله: ﴿وَإِن كَانُواْ﴾:

افتتح النّظمُ الجليلُ الجملةَ بالواو الحاليّة في قوله جلّ شأنُه:

حالُهم قبلَ المطر منافٍ للاستبشارِ والسّرورِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 64.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 120.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾؛ وذلك لبيان حالهم قبلَ نزول تلك الأمطار[1]، فالجملة حاليّةٌ، وفائدةُ هذا الحال بيانُ شدّةِ عجزهم وضعفِهم، فلولا نعمةُ الله تعالى عليهم لهلكوا، فكان حريًّا بهم ردُّ شكرِ تلك النّعمة بالإيمان والتوّحيد.

سرُّ التّعبيرِ بالفعلِ في قوله: ﴿كَانُواْ﴾؛ مادّةً وصيغةً:

عبّر النّظمُ الجليلُ بفعل الكونِ بصيغة الفعل الماضي في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَإِن كَانُواْ﴾؛ للدّلالة على شدّة تلبّسِ حالة الإبلاس فيهم، فالحالُ أنّهم كانوا في حالة منَ الإبلاس قد تمكّن من نفوسهم[2].

تمكّنَ الإبلاسُ منهم حتّى استقرَّ فيهم استقرارًا ثابتًا

دلالةُ ﴿مِن﴾ ودخولِه على الظّرف ﴿قَبْلِ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿مِن﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ وهي هنا ابتدائيّةٌ، وجيء بها للدّلالة على أنّ استبشارَهم قد صدرَ عن حالة اليأس التي كانوا فيها، أي: أنّهم قد بلغوا اليأسَ فنزل المطرُ، فوقع استبشارُهم، وهذا يدلُّ على شدّة استبشارِهم بالنّعمة؛ إذ إنّه وقع بعد بلوغهم مرحلةَ الإبلاس، ويحتملُ أنْ تدلّ ﴿مِن﴾ على استغراق زمن قبْليّة نزولِ المطر كلّه، بقرينة تَكرار الظّرف والجارّ ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾.

استبشارُهم صدرَ عن حالةِ اليأسِ التي كانوا فيها

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالمصدرِ المؤوّلِ ﴿أَن يُنَزَّلَ﴾:

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالمصدرِ المُؤوَّلِ من ﴿أَن﴾ والفعل المضارع، دونَ المصدر الصّريح في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾، فلم يقل: (من قبل إنزاله عليهم)؛ وذلك لِما في الفعل من دلالةٍ على التّجدُّد والاستمرار، إشارةً إلى أنّ نزول المطر يتجدّدُ في كلّ حين رحمةً منَ الله تعالى، فضلًا عن إفادته التّركيزَ على حدث الإنزال من دون بيانِ هيئاته، وكيفيّاته.

نزولُ الماءِ منَ السّماء متجدّدٌ مُستمرٌّ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 97.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 121.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالنّزولِ مادّةً وصيغةً:

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالإنزال في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾؛ لأنّ النّزول يدلُّ على انحِطاطٍ من عُلُوّ[1]، فالمطرُ ينزلُ من جهة السّماء باتّجاه الأرض التي هي تحت، وهذا يشيرُ إلى انتفاء أسباب البَشر وقدرتِهم عليه، فهو محضُ إنعامٍ منَ اللّه تعالى، وجيء به فعلًا مضارعًا للدّلالة على تجدّد النّزول، وبُنِيَ لصيغة المفعول للدّلالة على أنّ الإنعام يقع بمطلق النّزول لا بكونه من معيّن، فضلًا عمّا فيه من إيجاز؛ لأنّه لا يخفى أنّ الفاعل هو اللّه تعالى.

نـزولُ المطرِ من فوقٍ يدلُّ على مخضِ الإنعامِ

معنَى (على) في ﴿يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (على) الدّالّة على الاستعلاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾؛ لدلالة الاستعلاء على التّمكّن، أي: أنّ ذلك المطر قد نزل نزولًا متمكّنًا منهم، وهذا أنعمُ ما يكون عليه المطرُ من حال.

أنعَمُ ما يكون المطرُ ما كان متمكّنًا منَ الأرض التي ينزل عليها

سرُّ تَكرارِ الظّرف (قَبْل):

كرّر النّظمُ الجليلُ الظّرفَ الدّالَّ على القَبْليّة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾؛ لتأكيد المعنى، وفائدةُ التّأكيد هنا "الدّلالةُ على أنّ عهدهم بالمطر قد تطاولَ، فاستحكم يأسُهم، وتمادى إبلاسُهم، فكان الاستبشارُ على قدر اغتمامِهم بذلك"[2].

تكرارُ ظرفِ القَبليّةِ يُشير إلى طول زمانِ العَوزِ للماء

نوعُ اللّامِ في لفظ ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾:

أدخل النّظمُ الجليلُ اللّامَ على الإبلاس في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾، وهي اللّامُ الفارقةُ

إبلاسُهم واقعٌ على وجهِ الحقيقةِ والتّأكيدِ

(1) الرّاغب، المفردات: (نزل).

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 491، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 265، وابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 164، والقنوجيّ، فتح البيان: 10/ 263.

التي تدخل على خبر (إنّ)؛ للتّفريق بين (إنْ) المخفّفة و(إنْ) الشّرطيّةِ، فتنصُّ على أنّ (إنْ) في صدر الجملة هي المخفّفةُ[1]، وأفاد التّأكيدُ رفع التّوهم عن كون إبلاسهم كان مجازًا عن طول الانتظار، بل إنّهم قد يئسوا وأُبلِسوا على وجه التّأكيدِ والحقيقةِ.

سرُّ التّعبيرِ بـ ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ مادّةً وصيغةً:

يشتدُّ بأسُ النّاس بالعَوز للماء حتّى يبلغَهم اليأسُ والحُزن

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ (الإبلاس) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾؛ لدلالة الإبْلاس على الحزن المعترضِ من شدّة البأس[2]، فهو حزنٌ ويأسٌ وانكسار، فقد يئسوا منَ الخير ومن نزول المطر، وصاروا في غمّ وحُزن[3]، وجاء التّعبيرُ بصيغة اسم الفاعل للدّلالة على شدّة اليأس الذي كانوا عليه، فصارت صفةُ الإبلاس ثابتةً فيهم، حتّى باتوا عَريقين في الحزن واليأس.

دلالةُ الفاءِ في ﴿فَٱنظُرْ﴾:

آثار رحمة الله تعالى ظاهرةٌ لكلِّ عاقلٍ

افتتح النّظمُ الجليلُ الجملةَ الاعتراضيّة بالفاء الاستئنافيّة في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾، ودلّتِ الفاء على أنّ النّظم رتّبَ الاعتراضَ بالأمر بالنّظر إلى أثر رحمةِ الله تعالى لعباده، وإغاثتِهم به، وإحياءِ الأرض بعد موتها بالجفاف، على ما ذُكِر من أسباب تكوّنِ المطر ومقدّماتِه، من إرسال الرّياح وجمعِ السّحاب[4]، والاستئنافُ بالفاء يتضمّن دلالةَ الفاء على التّرتيب والسّببيّة والتّعقيب، فآثارُ المطر متسبّبةٌ عنه، مترتّبةٌ عليه، واقعةٌ بعدَه وشيكًا[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 122.
(2) الرّاغب، المفردات: (بلس).
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 97.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 123.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 64.

بلاغةُ اختيارِ النّظرِ مادّةً وصيغةً:

عبّر النّظمُ الجليلُ بفعل الأمر في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾، والمُرادُ به: التّنبيهُ على العِظَة والاعتبار، والاستدلالُ على عظَمة الخالقِ تعالى، فالمرادُ بالنّظر التّعقّلُ والاستدلالُ والاتّعاظُ، وجاء الأمر بلفظة (النّظر) للدّلالة على أنّ تلك النّعمةَ العظيمةَ تُدْرَك آثارُها بالعين، والمُرادُ به التّمهيدُ على ما يعقبُه من أمر البعث المذكور لاحقًا، وجاء الخطاب بصيغة المفرد لغيرِ معيّن؛ فالمُراد كلُّ مَن يتأتّى منه النّظرُ، كما مرّ في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ﴾[1].

الأمرُ بالنّظرِ تأكيدٌ على ظهور نعمةِ الله الدّالّةِ على كمال ربوبيّته

معنَى ﴿إِلَىٰٓ﴾ في ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿إِلَىٰٓ﴾ الدّالِّ على انتهاء الغاية في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾؛ للدّلالة على أنّ النّظر مطلوبٌ بحيثُ يقعُ على نتائج نزولِ الغيث، تأكيدًا للاعتبار، والاستدلالِ على المنعِم ﷻ.

غايةُ النّظرِ الوقوعُ على أصلِ النّعمةِ للاستدلالِ على المنعِم

بلاغةُ التّعبيرِ بـ ﴿ءَاثَٰرِ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ الآثار في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾، لدلالة الأثر على حصول ما يدلُّ على وجوده[2]، فالمُرادُ هو التّنبيهُ على ما نتج منَ المطر، وهي آثارُ رحمة الله تعالى؛ لأنّهم لا يرون الرّحمةَ ذاتَها؛ بل يرون آثارَها في حياتهم، والتّعبيرُ عن ذلك بصيغة الجمع لكثرة تلك الآثار وسَعتِها.

فوائدُ المطرِ ونتائجُه شاخصةٌ لكلّ بصير

سرُّ الاضافةِ في ﴿ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ﴾:

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الآثار إلى الرّحمة في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾؛ للدّلالة

نزولُ المطرِ وآثارُه إنّما هو محضُ نعمةٍ صادرةٍ من رحمة الله

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 65، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 123.
(2) الرّاغب، المفردات: (أثر).

على أنّ تلك النّعمةَ إنّما كانت بفضل الله تعالى ورحمتِه، فلمّا "لم يكن لذلك سببٌ سوى سبْقِ رحمتِه لغضبه قال: ﴿رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾[1]"، فتحقُّقُ النّعمةِ وظهورُ آثارِها كائنٌ بسبب الرّحمة التي رحم اللّهُ تعالى بها عبادَه.

فائدةُ إضافةِ رحمة إلى اسم الجلالة:

الرّحمةُ التي تأتي منَ الرّحمن الرّحيم جليلةٌ عظيمةٌ

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الرّحمة إلى اسم الجلالة في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾؛ تعظيمًا لشأن الرّحمة وتفخيمًا لها؛ فإنّ جلال تلك النّعمةِ بإنزال الماء الذي يسقي الأرضَ، واكتساءَها بأنواع النّباتِ والأشجار، واختلافَ الثّمار، يدلُّ على أنّه رحمةٌ منَ الله تعالى[2]، فأضاف لفظها إلى ذاته ﷻ لبيان عظمتِها.

توجيه القراءات في ﴿ءَاثَٰرِ﴾ وبلاغتها:

الإفراد والجمع من التفنن في إيصال المعاني

قَرَأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب وابْنُ كَثيرٍ وشعبة: ﴿أَثَرِ﴾ بِقَصْرِ الهَمْزَةِ وحَذْفِ الألِفِ بَعْدَ الثّاءِ على التَّوْحيدِ، وقَرَأ الباقُونَ بِمَدِّ الهَمْزَةِ وألِفٍ بَعْدَ الثّاءِ على الجَمْعِ: ﴿ءَاثَٰرِ﴾، وهُمْ في الفَتْحِ والإمالَةِ على أُصُولِهِمْ"[3] فالحجة لمن وحَّد: أنه اكتفى بالواحد من الجمع، لنيابته عنه، ودليله قوله: ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ [طه: 84]، ولم يقل آثاري، والحجة لمن جمع: أنه أراد به: (أثار المطر في الأرض مرَّة بعد مرَّة)، والمراد بهذا من الله ﷻ تعريف من لا يقرُّ بالبعث، ولا يوقن بحياة، بعد موت، فأراهم الله تعالى إحياء بعد موت، ليعرفوا ما غاب عنهم بما قد شاهدوه عيانًا، فتكون أبلغ في الوعظ لهم، وأثبت للحجة عليهم[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 121.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 121 - 122.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/ 345.
(4) ابن خالويه، الحجة، ص: 283.

بلاغةُ التّعبيرِ باسمِ الاستفهام ﴿كَيۡفَ﴾:

كيفيّةُ إعادةِ الخَلْق ماثلةٌ للنّاس بكيفيّة إحياءِ الأرض بالنّبات

عبّر النّظمُ الجليلُ باسم الاستفهام ﴿كَيۡفَ﴾، الدّالِّ على الحالة والهيئةِ والكيفيّةِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾؛ للدّلالة على أنّ المأمور به هو النّظرُ إلى كيفيّة إحياء الأرض بعد موتها بالجفاف[1]، وإنّما عبّر عن ذلك بالاستفهام دون أن يقول: (فانظر إلى هيئة الأرض، وكيفيّة إحيائها)؛ لأنّه نبّه باسم الاستفهام على عظَمته، وأنّه من عِظَم الحال، بحيثُ إنّه جديرٌ بأن يُسْأل عن كيفيّته، فلأنّه لمّا صار مألوفًا لكثرة تَكراره، نبّه عليه بالاستفهام[2].

بلاغةُ الاستعارةِ في إحياء الأرض وموتِها:

الأرضُ مُماثلةٌ للأحياء فجفافُها موتٌ وإنباتُها إحياء

استعار النّظمُ الجليلُ لفظَ الموتِ والحياة في قوله جلّ شأنُه: ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾، فأطلقَ على إنبات الأرض إحياءً، وأطلقَ على جفافها موتًا[3]، فشَبّه الأرضَ بكائن بكلتا حالتيه عندما يكون حيًّا وميّتًا؛ فشَبّه إنباتَ الأرض بالحياة، وجفافَها بالموت، وهي استعارةٌ مكنيّةٌ لحذفه المُشبَّه به.

إيثارُ فعلِ الإحياءِ مادّةً وصيغةً:

نُموُّ النّباتِ بماء السّماء هو حياةٌ لها

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الإحياء في قوله جلّ شأنُه: ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾؛ لأنّ الحيّاة تُطلقُ على القوّة النّامية الموجودةِ في النّبات والحيوان، فيُقال: نباتٌ حَيٌّ[4]، فلمّا نمتِ النّباتاتُ بالماء أطلق عليه لفظَ الحياة، وجاء التّعبيرُ بالفعل المضارع؛ لأنّه يتجدّد ويستمرُّ، ولاستحضارِ تلك الحالةِ العَجيبةِ الشّأنِ في مشاهدة السّامِع، وهي اخضرارُ الأرضِ بآثار رحمةِ الله بعد جَفافِها[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 123.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 122.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 123.
(4) الرّاغب، المفردات: (حيى).
(5) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 266.

دلالةُ التّقييدِ بقوله: ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾:

إحياءُ الأرض بعد تمامِ موتها من عظيم مِنّةِ الله على العباد

قيّد النّظمُ الجليلُ إحياءَ الأرض بكونه بعد موتها في قوله جلّ شأنُه: ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾؛ للنّصّ على أنّ إحياءَ الأرض بذلك المطر كان بعدَ موتها بالجفاف على التّمام، وهذا يُظْهِرُ عِظَمَ الامتنان بتلك النّعمةِ الجزيلةِ.

علّةُ فصلِ جملة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾:

بناءُ الاستدلالِ على البعث يومَ القيامة بإحياء نباتِ الأرض في الدّنيا

فَصل النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾؛ لأنّها مُستأنَفةٌ جيء بها لإنشاء الاستدلال على طريقة الإدماج؛ فأدمج دليلَ البعثِ عَقِبَ الاعتبار بإحياء الأرض بعد موتها[1]، فالاستئنافُ للشّروع بالاستدلال بإحياء الأرض المَواتِ، على إحياء البشر الأمواتِ[2].

سرُّ تعدّدِ المؤكّداتِ:

تأكيدُ حقيقةِ الإحياءِ للإنكار على المُنكرين

عدّد النّظمُ الجليلُ المؤكّداتِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾، فجاء بالجملة الاسميّة مصدَّرةً بحرف التّأكيد ﴿إِنَّ﴾، وبلام التّأكيد في الخبر؛ والمُرادُ تقويةُ مضمونِ الجملة، وتقريرُ الخبر[3]، وفائدةُ التّأكيد للرّدّ على إنكار مُنكري البعث وإحياءِ الموتى يوم القيامة، فمذهبُ الإنكار يستلزم قوّةَ الإقرار.

مرجعُ اسمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾، ودلالةُ التّعبيرِ به للبعيد:

الإلـــهُ الــذي يُحيي الأرضَ بعد موتِها شأنُه عظيم وأمــرُه جليل

عبّر النّظمُ الجليلُ باسم الإشارة في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، وهو عائدٌ إلى اسم الله تعالى، بما أُجريَ عليه من الإخبار بإحياء الأرض بعد موتها، ليفيد اسم الإشارة معنى أنَّه جدير بما يرد بعده من الخبر عن المُشار إليه،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 123 - 124.
(2) القنوجي، فتح البيان: 10/ 264.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 124.

وآثرَ التّعبيرَ بصيغة البُعْد للتّعظيم، أي: ذلك الإلهُ البعيدُ الشّأن في العظَمة بما ظهر من آثار رحمتِه في عباده.

إيثارُ لفظِ ﴿لَمُحۡيِ﴾ مادّةً وصيغةً:

ثبوتُ صفةِ الإحياء وتأكيدُها لله ﷻ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الإحياء بصيغة اسمِ الفاعل في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾؛ للدّلالة على ثبوت صفةِ الإحياء وتأكيدِها، أي: "ما زال قادرًا على ذلك، ثابتًا له هذا الوصفُ ولا يزال"[1]، فوَعْدُ اللّهِ مقطوعُ الحصولِ، "فإنَّ الإنسان إذا قال: إنّ المَلك يعطيك، لا يفيد ما يفيدُ قولُه: إنّه مُعطيك؛ لأنّ الثّاني يفيد أنّه أعطاك، فكان وهو مُعطٍ متّصفًا بالعطاء، والأوّل يُفيد أنّه سيتّصفُ به، ويتبيّنُ هذا بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ﴾ [الزّمر: 30] فإنّه آكَدُ من قوله: (إنّك تموت)"[2].

دلالةُ الإضافةِ ﴿لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾:

صفةُ إحياءِ الموتَى صفةٌ ثابتة لله تعالى

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الإحياء إلى الموتى في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، فعرّف (محيي) بإضافته إلى الموتى، وهو إضافةُ اسمِ الفاعل إلى معموله، وإضافةُ اسم الفاعل تدلُّ على أنّ الوصف كائنٌ بالزّمن الماضي؛ وذلك لتأكيد المعنى، وتقريرِ تحقيقه، أي: "ما زال قادرًا على ذلك، ثابتًا له هذا الوصفُ ولا يزال"[3].

معنَى (أل) في لفظ ﴿ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾:

عرّف النّظمُ الجليلُ ﴿ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ بالألف واللّام في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ للدّلالة على الجنس، أي: يُحيي جميعَ الموتى منَ النّاس.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 122.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 109.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 122.

بلاغةُ الطّباقِ بين الإحياءِ والإماتةِ:

الجمعُ بين الموتِ والحياةِ تنويهٌ على عظيم القدرةِ

جمع النّظمُ الجليلُ بين لفظتَي الموت والحياة في عبارة واحدة في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، على سبيل الطّباق بجمع الضّدّين، لِما فيه من جمالٍ في النّظم، وتقويةٍ للمعنى بتأكيد تحقيقِ الحياة في الموتى.

دلالةُ الواوِ في ﴿وَهُوَ﴾:

مُحيي الموتى لا يُعْجِزُه شيءٌ

عطفَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، على الجملة في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ بالواو العاطفة[1]، والجملةُ مسوقةٌ تذييلًا مقرِّرًا لمضمون ما سبق، أي: أنّه بالغٌ "القُدرةِ على جميع الأشياء، التي من جملتها إحياؤُهم، لِما أنَّ نسبةَ قُدرتِه إلى الكُلِّ سواءٌ"[2].

معنَى ﴿عَلَىٰ﴾ في ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿عَلَىٰ﴾ الدّالِّ على الاستعلاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾؛ وذلك للدّلالة على تمكّن قدرتِه تعالى من كلّ شيء.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾:

كلُّ شيء داخلٌ تحت قدرةِ المولى تعالى

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الكلّيّة إلى الشّيء في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾؛ للدّلالة على تعلّق قدرتِه بعموم الأشياء، أي: ما ذُكر في السّياق، وما لم يُذكر؛ لأنّ قدرته تعالى متعلّقةٌ بكلّ ممكنٍ بنسبة غيرِ متباينةٍ[3].

سرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرور على المُسنَد:

قدّم النّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة منَ الجارِّ والمجرور على المُسنَد

(1) مجموعة من المؤلّفين، إعراب القرآن الكريم: 3/ 1791.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 65.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 123.

في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، فلم يقل: (وهو قديرٌ على كلّ شيء)؛ اهتمامًا بمتعلّق القدرة، فإنّ قدرتَه تعالى معلومةٌ، ولكنَّ المُرادَ بيانُ كونِها متعلّقةً بعموم الأشياء جميعًا على سبيل الشّمول، فقدّم ما دلّ على ذلك للتّنبيه عليه.

مقصودُ السّياقِ بيانُ شمولِ الأشياء الدّاخلةِ تحتَ قدرتِه تعالى

إيثارُ اختيارِ صفةِ القُدرة مادّةً وصيغةً:

آثرَ النّظمُ الجليلُ التّعبيرَ بلفظ القدرةِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾؛ لدلالة لفظ (القَدير) على أنّه الفاعل لِما يشاء على وفق ما تقتضيه الحِكمة، لا زائدًا عليه ولا ناقصًا عنه؛ ولذلك لا يصحُّ أن يُوصَف به إلّا اللّه تعالى[1]، وجاء التّعبيرُ بصيغة المبالغة على وزن (فعيل)؛ للدّلالة على المبالغة في القدرة[2]، أي: هو القويُّ القادر، عظيمُ الشّأن، لا يُعجزُهُ شيء عن فعل أيِّ شيء[3].

يفعلُ اللهُ ما يشاءُ على وفق ما تقتضيه الحِكمةُ والحاجة

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإثارة والبَعثرة والتّهييج:

الإثارةُ أصلُها انْبِعاثُ الشَّيْءِ[4]، وثارَ الشَّيءُ: هاجَ، وكُلُّ ما اسْتَخْرَجْتَهُ أو هِجْتَه، فَقَدْ أَثَرْتَه إثارَةً[5]، وثارَ الغبارُ والسّحاب ونحوُهما: انتشر ساطعًا، قال تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾[6]، والمُرادُ به في الآية الكريمة: تهييجُ السّحاب وتحريكُه[7].

الإثارةُ تهييجُ الشّيءِ وانتشارُه أمّا البعثرةُ فتفريقُ الشّيء وتقليبُه

أمّا البعثرةُ: فهي قلبُ الشّيء وإثارتُه، بجَعْل أعلاه أسفلَه، وأسفلِه أعلاه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝١﴾ [الانفطار: 4][8]، وبَعْثَرَ

(1) الرّاغب، المفردات: (قدر).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 65.
(3) محمّد الهلال، تفسير القرآن النّريّ الجامع: 1/ 27.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ثور).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (ثور).
(6) الرّاغب، المفردات: (ثور).
(7) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 262.
(8) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (بعثر).

الرّجلُ متاعَه، إذا فرَّقه وبدَّدَه، وقلبَ بعضَه على بعضٍ[1]، وتقول: بعثرتُ حوضي، أي: هَدَّمْتُه وجعلتُ أسفلَهَ أعلاه[2].

أمّا التّهييجُ: فأصلُه يَدُلُّ على ثَوَرانِ شَيْءٍ[3]، وهاج الشّيء: أي ثارَ[4]، يقال: هاجَ البقل يَهيجُ: اصفرَّ وطابَ، قال ﷻ: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ [الزّمر: 21]، وأهْيَجَتِ الأرضُ: صار فيها كذلك[5]، ويقال: هاجَتِ الإبلُ: عَطِشَت، وهاجت الأرضُ: يَبَس بَقلُها، والمعنى المحوريُّ يدلُّ على جَفافٍ وحِدَّةٍ في الباطن أوِ الأثناء كعطشِ الإبل، وهو حِدَّةٌ في باطنها، وكذلك يُبس الزّرع والبقل: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: 20]، ومنَ الحِدَّة في الباطن: هاجَ به الدمُ، وهاجَتِ السّماءُ فمُطِرنا، والهيجُ: الإزعاجُ، والفتنة، والرّيحُ الشّديدةُ، والحركةُ[6]، والهَيْجاءُ: الحَرْبُ؛ لأنها مَوْطِنُ غَضَبٍ[7]، فالتّهييجُ يدلّ على الإثارة التي فيها نوعٌ منَ الشّدة والحدّة.

فالإثارة: تهييجُ الشّيء وانتشارُه، أمّا البَعثرةُ: فتفريقُ الشّيء وتقليبُه، والتّهييجُ: شدّة الإثارة، وعبّر في الآية بالإثارة؛ لأنّ المُرادَ تهييجُ السّحاب وإنشاؤه، لا تقليبُه.

الوَدْق والمطر والغَيث:

المطرُ مُطلقُ الماء المُنسكبِ والغيثُ ما غاث منَ الجَدْب والوَدْقُ الماء الآتي من السّماء

الوَدْق: أصلُه يدُلُّ على إتْيانٍ وأنَسَةٍ، والوَدْقُ: المَطَرُ؛ لأنَّهُ يَدِقُ، أي: يَجيءُ مِنَ السَّماءِ[8]، وهو ما يكونُ من خلال المطر كأنّه غبارٌ، وقد يُعبّر به عنِ المطر، قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النّور: 43][9].

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (بعثر).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (بعثر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هيج).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (هيج).
(5) الرّاغب، المفردات: (هاج).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (هيج).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (هيج).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ودق).
(9) الرّاغب، المفردات: (ودق).

أمّا المَطَر: فهو الماء المُنسكِبُ[1]، وأمّا الغَيْثُ: فهو المطر الذي يُغيث الأرضَ إذا أصابها، وغاثَ اللّهُ البلادَ يَغيثُها غَيْثًا[2].

والفرق بين الغيث والمطر: أنّ الغيثَ هو المطرُ الذي يغيث منَ الجَدْب، وكان نافعًا في وقته، وأمّا المطرُ فقد يكون نافعًا، وقد يكون ضارًّا في وقته، وفي غير وقته[3]، وجاء التّعبيرُ في الآية بالودق ليَدُلَّ عن كثافة الماء وشدّته؛ لأنّ المراد رؤيةُ المطر حالَ خروجه من بين السّحاب، وهو في تلك الحالة يبدو كثيفًا كأنّه دخانٌ وغبارٌ.

الإبلاس واليأس:

الإبلاسُ: القُنوط وقَطْعُ الرَّجاءِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّه تَعالَى، وهو الانْكِسارُ والحُزْنُ، يُقالُ: أبْلَسَ فُلانٌ إذا سَكَتَ غَمًّا[4]، أمّا اليأسُ: فهو قَطْعُ الرَّجاءِ[5] وانتفاءُ الطّمعِ[6]، والقُنوط، هو نَقيضُ الرَّجاءِ[7]، وعبّرَ بالإبلاس في الآية؛ لأنّ المُرادَ بيانُ شِدّة يأسِهم وانكسارِهم مع حُزنهم، فالمُرادُ اليأسُ مع الانكسار[8].

الإبـلاسُ أخصُّ منَ اليأس فهو يأسٌ مع انكسارٍ وحُزن

(1) الرّاغب، المفردات: (مطر).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (غيث).
(3) العسكريّ، الفروق، ص: 391.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (بلس).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (يأس).
(6) الرّاغب، المفردات: (يأس).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (يأس).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 122.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»